

تجلیات (ا اكبر) .. للعلامة الشهيد البوطي من دعاة التقريب والوحدة الاسلامية



العلامة الشهيد البوطي من دعاة التقريب والوحدة الاسلامية

من تجلیات (ا اكبر)

من استشعر معنى (ا اكبر)، لن يخدع بألقاب مفخمة، ولا يوهم قوة أودعها ا بإنسان، لن بأسره جمال، ولن يفتنه مال، ولن تستنزفه لمعة الدنيا وبهرجتها، ولن يخيفه أعتى عتاتها، ولن يغتر بأوهام .. بل سيعلق قلبه بالحي الباقي الذي لا ينام.

من فقهه معنى (ا اكبر)، ثم وجد نفسه منسوباً بنسب العبودية إلى ا، يأبى الصّـعة والهوان، ولا يتملق لفلان أو فلان، بل سيمضي وهو يتيه فخراً بنسبته إلى ا عز وجل عبداً ولسان حاله يقول بكل فخر واعتزاز - كما علمنا ا: {إِنَّ وَلِيَّيَّ اللّٰهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}.

من استشعر شيئاً من معاني (ا اكبر)، سيدرك أن كلَّ تذلل وانكسار ذلٌّ ونقيصة إلا التذلل والانكسار

على أعتاب الـ عز وجل؛ فإنه عينُ الكمال، ومنبع الفخار، وأصل الهيبة والجلال.

من أيقن أن (الـ أكبر) من كل شيء، أيقن أن كل ما في الكون وهمٌ أمام قدرة الـ، وعظمة الـ، وجمال الـ، وجلال الـ، وتدبير الـ.

حقيقة لا يفقهها إلا من آمن بالـ رباً، ثم أدرك شيئاً من معاني (الـ أكبر)؛ تلك الكلمة التي نكررها - سواء مع المؤذن أو في صلاتنا - في اليوم أكثر من مائة مرة.

أما عندما تغدو هذه الكلمة شعاراً ميثاقاً لا قيمة له على اللسان، ولا تحرك ساكناً في الكيان، فإن القلب سيفرغ من مشاعر تعظيم الـ عز وجل، وستطيش بوصلته، وتتخطفه الأهواء؛ سيتمسك بالفاني، ويعظم الحقير، ويفتن بالقليل، ويُسْتَغَلَّ صاحب قلب هذا شأنه من قبل الصغير والكبير.

وحدثني بربك إن كان الـ معك فمن عليك؟! وإن كان عليك فمن ذا يقوى أن يكون معك؟! ألم يقل النبي صلى الـ عليه وسلم: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الـ لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الـ عليك".

فكم من فرق بين أن يكون وليُّك - وقد ملأت عظمته كل ذرة من كيانك - مُقْلَبَ القلوب الذي بيده خزائن الأرض ومقاليد السماوات، وبيده تصريف الأملاك والمجرات، وبين أن تتخذ لنفسك من مخلوقاته وليّاً، لا يملك أن يجلب لنفسه نفعاً ولا أن يدفع ضرراً.

واعلم أن من بات وقد تجلت على قلبه شيء من معاني (الـ أكبر)، ستجده إنساناً متوازناً في مجتمعه، حكيماً في تصرفه؛ يضع كلَّ أمر في نصابه. يُنزل الناس منازلهم، ويعطي كلَّ ذي حقِّ حقه؛ يُكرم كريم القوم. ويحترم كبيرهم لكن دون تَبذُّلٍ ولا إسفاف، يعطف على صغيرهم ويشفق على عاصيهم لكن دون تعال ولا امتنان؛ لأن مشاعر عبوديته الـ عز وجل انعكست قوةً في شخصيته، واعتزازاً بعبوديته، وحنكةً في تعامله، ورفعةً في شأنه، ورسوخاً في منهجه؛ أدرك أن الناس - غنيهم وفقيرهم، أميرهم وحقيرهم - عبيدٌ الـ فقراء إلى رحمته، فمضى - في الظاهر - يتعامل مع الخلق، لكنه في الحقيقة يعامل الحق جل جلاله ويسعى لرضاه من خلالهم.

أما من بات غريباً عمَّالاً تحمله (الـ أكبر) من معنى، غافلاً عن عظمة الحق جل جلاله، فإنه سيغدو طامعاً بجيوب الخلق، أو طامحاً للوصول إلى مناصب الخلق، أو طالباً لثناء الخلق ومدحهم؛ اختار

لنفسه أن يكون عبداً للخلق لا للخالق. وصدق سيدي ابن عطاء الله إذ يقول: "أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع".

فانظر كيف يزري بنفسه المسكين عندما يتخذ من مخلوق مثله - لجاهه أو لمنصبه - وليّاً؛ يتقرب إليه ويتملق له لينال رضاه، وكيف يعز نفسه من مضى يشق طريقه في الحياة وعظمة الله ملاء عينيه.